تفسير

سورة الغاشية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[٢] ، قال عطاء[٣] ، ومقاتل[٤] : يريد قد أتاك ، وهذا كقوله : ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الدهر :١] .

وقال[٥] (الكلبي عن)[٦] ابن عباس : لم يكن أتاه قبل ذلك[٧] .

---

(١) مكية لا خلاف على ذلك بين أهل التأويل ، قال ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٣٢ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٢٧ .

(٢) ما بين المقوسين ساقط من (ع) .

(٣) لم أعثر على مصدر قوله ، وقد ورد بمثله معزواً إلى أكثر المفسرين في فتح القدير ٥/ ٤٢٨ .

(٤) تفسير مقاتل ٢٣٨أ .

(٥) في (أ) : (قال) .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله ، ولكن وردت الرواية عن الكلبي في النكت والعيون ٦/ ٢٥٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٨ .

وقوله[١] (تعالى)[٢] : ﴿حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ قال عطاء : خبر القيامة[٣] ، وهو قول الحسن[٤] ، وقتادة[٥] . وقال الكلبي : يعني النار[٦] ، (وهو قول سعيد بن جبير[٧] ، ومقاتل[٨] ، وذلك أنها)[٩] تغشى وجوه الكفار ، كما قال عز وجل : ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم :١٤] . قال[١٠] المبرِّد : الغاشية ما يغشى الناس من أمر الآخرة[١١] . ومن قال : هي القيامة ، أراد أنها تغشى الناس بأهوالها وشدائدها ، ويدل على هذا القول :

---

(١) في (أ) : (قوله) .

(٢) ساقط من (ع) .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، ولقد ورد بمثله معزواً إلى أكثر المفسرين في الكشف والبيان ج ١٣ : ٧٩ب ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥ ، وقد ورد بمثل قوله عن ابن عباس ، وقتادة ، وابن زيد في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٦ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٦

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٢٣٨أ .

(٧) جامع البيان ٣٠/ ١٥٩ ، والكشف ١٣/ ٧٩ب ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٢ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٢ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٨ ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٧٢ .

(٨) زاد المسير ٨/ ٢٣٢ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٢ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٨

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) في (ع) : (وقال) .

(١١) لم أعثر على مصدر لقوله .

٢. قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾[١] يعني يوم الغاشية ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة بالعذاب، (قاله الكلبي[٢] وغيره[٣])[٤]. قال مقاتل: يعني الكفار؛ لأنها تكبرت في الدنيا عن عباد الله[٥]. ومن قال: الغاشية النار، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم تغشى النار الوجوه، وهو يوم القيامة.

٣. ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ قال[٦] الكلبي: عاملة يعني تجر في النار، ناصبة في عذاب، ونصب من حرها[٧]، وهو قول مقاتل[٨]، (والحسن[٩])[١٠]،

---

(١) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾.

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد من غير عزو في الوسيط ٤/ ٤٧٣.

(٣) قال بذلك: قتادة، وسفيان، ومقاتل انظر: تفسير مقاتل ٢٣٨أ، جامع البيان ٣٠/ ١٦٠، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٩، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٨، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٦.
وإلى هذا ذهب صاحب معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣، والكشاف ٤/ ٢٠٦، وزاد المسير ٨/ ٢٣٣، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٢.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) فتح القدير ٥/ ٤٢٨، والوسيط ٤/ ٤٧٣.

(٦) في (أ): (وقال.

(٧) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ١٣ : ٧٩ب، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٧، وفتح القدير ٥/ ٤٢٨.

(٨) ورد معنى قوله في تفسير مقاتل ٢٣٨أ، زاد المسير ٨/ ٢٣٣، وقوله: عاملة في النار تأكل من النار، ناصبة العذاب.

(٩) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٦٠، وبنصه في الكشف والبيان ١٣/ ٧٩ب، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٧٨، وزاد المسير ٨/ ٢٣٣، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٢، وفتح القدير ٥/ ٤٢٨، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤١٣.

(١٠) ساقط من (أ).

وقتـــادة[١] ، وابن عباس[٢] (في رواية عطية)[٣] ، قالوا : لم تعمل لله[٤] تعالى ، فأعملها وأنصبها في النار ، فهي تعالج السلاســـل والأغلال . والمراد بالوجوه : أصحابها ، ومعنـــى النصب[٥] : الدؤوب في العمل بالتعب .

وقـــال عطاء عن ابن عباس : يعني الذين عملوا ونصبوا[٦] في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان ، وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان[٧] ، وغيرهم لا يقبـــل الله منهم إلا ما كان لوجهه خالصاً لا يقبل اجتهاداً في بدعة وضلالة ؛ لكنه يقبل رفقاً في ســـنة[٨] ، وهذا قول سعيد بن جبير[٩] ، وزيد بن أسلم[١٠] ، (وأبي

---

(١) المراجع السابقة ، انظر أيضاً : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٣٨ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٨ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩١ ، وعزاه أيضاً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) جامـــع البيان ٣٠/ ١٦٠ ، والكشـــف والبيـــان ١٣/ ٧٩ب ، زاد المســـير ٨/ ٢٣٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٢ .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (الله) .

(٥) النَّصَبُ : الإعياء من العناء ، والفعل من نصِبَ يَنْصب ، تهذيب اللغة (نصب) ١٢/ ٢١٠ ، ولســـان العرب (نصب) ١/ ٧٥٨ .
وفي الغريب : النصب : التَّعب . انظر : المفردات في غريب القرآن ٤٩٤ ، وتحفة الأريب ٢٩٢ .
وعـــن ابن الملقن قال : ناصبة في النار ، من النصب وهو التقلـــب ، وعملها في النار الصعود والهبوط والصراخ ، وقيل : عاملة في الدنيا بما تظن أن يقربها إلى الله ، ناصبة ؛ أي في ذلك العمل .
تفسير غريب القرآن ٥٤٩ .

(٦) غير واضحة في (ع) .

(٧) الرُّهْبان جمع راهب ويراد به المتعبد في الصومعة .
لسان العرب (رهب) ١/ ٤٣٧ .

(٨) ورد قوله في معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٧ ، ولكن براوية الضحاك عن ابن عباس لباب التأويل ٤/ ٤٧٣ .

(٩) الكشـــف والبيان ١٣/ ٨٠أ ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢ بمعناه ، زاد المسير ٨/ ٢٣٣ ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٧٢ .

(١٠) المراجع السابقة .

الضحى عن ابن عباس[١])[٢] ، قالوا هم : الرهبان ، وأصحاب الصوامع[٣] ، واختاره صاحب النظم ، فقال قوله تعالى : ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ منتظم بقوله : ﴿وُجُوهٌ﴾ دون قوله : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ على تأويل : وجوه عاملة ناصبة في الدنيا[٤] .

﴿يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ؛ أي في الآخرة ، والآخرة ليست دار عمل ، وقوله : ﴿عَامِلَةٌ﴾ ؛ أي في الدنيا ، وفصل آخرون بين العاملة والناصبة ، فقالوا : عاملة في الدنيا ، ناصبة في الآخرة ؛ لأنها عملت في الدنيا في المعاصي ، فصارت ناصبة[٥] في النار يوم القيامة ، وهو قول عكرمة[٦] ، (والسدي[٧])[٨] .

٤. ثم ذكر نصبها ، فقال : ﴿تَصْلَىٰ نَارًا[٩] حَامِيَةً﴾ قال ابن عباس : قد حميت ، فهي تتلظى على أعداء الله[١٠] .

---

(١) الكشف والبيان ١٣/ ٨٠أ ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢ بمعناه ، زاد المسير ٨/ ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٧ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) الصوامع جمع صومعة وزنها فَوْعلة ، وهو بناء مرتفع حديد الأعلى ، وهي منار الراهب ، قال سيبويه : «هو من الأصمع يعني المحَّدد الطرف المنظم وصومع بناءه : علاه مشتق من ذلك» .
لسان العرب ٨/ ٢٠٨ (صمع) ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٧١ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٩ .

(٥) في (أ) : (الناصبة) .

(٦) الكشف والبيان ١٣/ ٨٠أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٧ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩١ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٧) المراجع السابقة عدا الدر المنثور ، انظر أيضاً : تفسير السدي ٤٧٥ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) في (أ) : (نار) .

(١٠) معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٣ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٥٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٧ .

(وقــرأ أبو عمرو ﴿تَصْلَىٰ﴾ من أصليته النار ، وحجته قوله : ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة :٣١] ، وصلوه مثل أصْلوهُ)[١] .

٥. ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ (أي متناهية في شــدة الحر ؛ كقوله : ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن :١٤])[٢] .

قال المفسرون : حارة قد انتهى حرها[٣] ، فلــو وقعت منها نقطة على جبال الدنيا لذابت[٤] هذا شرابهم .

ثم ذكر طعامهم ، فقال :

---

(١) ما بين القوسين نقله عن الحجة ٦/ ٣٩٩ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢١٠ ، وبمثل قراءة أبي عمرو قرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي تَصْلَى بفتح التاء ، وكذلك حفص عن عاصم وحجتهم قوله ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المســد ٣ ، وانظر : كتاب الســبعة في القراءات لابن مجاهد ٦٨١ ، القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٦٩ ، والحجة ٦/ ٣٩٩ ، والمبسوط ٤٠٦ ، والكشف ٢/ ٣٧٠ ، ٣٧١ ، وحجة القراءات ٧٥٩ ، وكتاب التبصرة ٧٢٤ .
قال أبو منصور : من قرأ تَصْلَى فمعناه تلزم حر نار حامية ، ومن قرأ : تُصَلَى فمعناه تلقى في نار حامية حتى يصلى حرها ؛ أي يقاسي عذابها . القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٦٩ .

(٢) ما بين القوسين نقل عن معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٧ .

(٣) قال بذلك ابن عباس ، والحســن ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وعطاء ، انظر : تفسير مجاهد ٧٢٤ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٦١ ، وإعــراب القرآن للنحاس ٥/ ٢١٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣ ، والجامع لأحــكام القرآن ٢٠/ ٢٩ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٢ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩١ ، وعزاه البغوي إلى أكثر المفسرين ٤/ ٤٧٨ ، كما قال بهذا القول أبو عبيد القاسم بن سلام في غريب القرآن ١٤٣ حاشية كتاب التيســير في علوم التفســير للديريني ، ومكي في العمدة في غريب القرآن ٣٤٤ ، والخزرجي في نفس الصباح ٧٧٨ ، والراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن ٢٩ .
كما ذهب إليه الســمرقندي في بحر العلــوم ٣/ ٤٧٣ ، وقال ابن زيد : آنية : حــاضرة ، جامع البيان ٣/ ١٦١ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩٢ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) بياض في (ع) .

٦-٧. (قوله تعالى)[١] : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ قال أبو عبيدة[٢] ، والليث[٣] : الضريع : يبس الشِّبرق ، وهو نوع من الشوك . وقال الفرَّاء : (هو)[٤] نبت يقال له : الشِّبْرِق ، وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس ، وهو سم[٥][٦] . وقال أبو إسحاق : الشبرق جنس من الشوك ، وإذا يبس فهو الضريع[٧] . (ونحو هذا قال أكثر المفسرين)[٨] ، وهو (قول الكلبي[٩] ، ومقاتل[١٠] ، ومجاهد[١١] ، وعكرمة[١٢] قالوا[١٣] :

---

(١) ساقط من (ع) .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦ ، وكلامه : الضريع عند العرب : الشَّبْرق شجر .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله ، وجاء نحو هذا القول عن الزَّجَّاج وكلامه ، قال : الضريع الشبرق وهو جنس من الشوك إذا كان رطباً فهو شبرق ، فإذا يبس فهو الضريع . معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٧ ، وجاء في الصحاح الضريع : يبيس الشبْرق ، وهو نبت ٣/ ١٢٤٩ (ضرع) .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) ورد في تهذيب اللغة اسم بدلاً من سم ٤/ ٤٧١ .

(٦) معاني القرآن ٣/ ٢٥٧ بنصه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٧ باختصار .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

(١٠) تفسير مقاتل ٢٣٨أ .

(١١) تفسير الإمام مجاهد ٧٢٤ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٦٢ ، والكشف والبيان ١٣/ ٨٠أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٧ .

(١٢) ورد بمعنى قوله في المراجع السابقة عدا تفسير مجاهد والكشف ، وانظر : معنى قوله في الدر المنثور ٨/ ٤٩٢ ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(١٣) وممن ذهب أيضاً إلى القول إنه الشبرق : قتادة ، وابن عباس ، وأبو الجوزاء ، وشريك بن عبدالله ، انظر : جامع البيان ٣٠/ ١٦٢ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٥٩ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٧ .

وممن عزاه إلى أكثر المفسرين ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٣٤ ، والفخر في التفسير الكبير ٣١/ ١٥٣ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٩ .

هو نبت [ذو شوك][(١)] يسمى الضريع)[(٢)] أخبث الطعام وأبشعه[(٣)] . قال مقاتل[(٤)] ، (والكلبي[(٥)])[(٦)] : هي شجرة لا تقربها دابة ولا ترعاها إذا يبست ، (وصارت تسمى الضريع)[(٧)] .

(وقال أبو الجوزاء)[(٨)] : هي السُلاء[(٩)][(١٠)] ، (وهذا قول ابن عباس[(١١)] في رواية العوفي)[(١٢)] ، فإن قيل : إن الله -تعالى- يقول في موضع آخر : ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة :١٩] ، وهاهنا يقول : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية :٦] .

والضريع غير الغسلين[(١٣)] ، فكيف نجمع بين الآيتين ؟ قيل : إن النار دركات ، والجنة درجات ، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثوبات ،

---

(١) بياض في (ع) ، ولعل الساقط ما أثبته لورود نحو منه عند المفسرين المذكورين ، والله أعلم .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) في (أ) : (أشبعه) .

(٤) تفسير مقاتل ٢٣٨أ .

(٥) بنحوه ورد في الكشف والبيان ١٣/ ٨٠أ ، معالم التنزيل ٤/ ٤٧٨ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) ما بين القوسين لم يذكر في نسخة (أ) ، وإنما ذكر بدلاً منه لفظة : قيل .

(٩) السلاء مفرد سلأ ، وهي شوكة النخله ، والجمع سُلّاء . النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٨٧ .

(١٠) ورد قوله في النكت والعيون ٦/ ٢٥٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٤ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٥٣ ، برواية السّلَم بدلاً من السلاء ، والسلم شجر من العضاه ، وورقها القَرَظ الذي يدبغ به الأديم .
وقال شمر : السَّلمة شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها ويسمى ورقها القَرَظ . لسان العرب (سلم) ١٢/ ٢٩٦ .

(١١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد في الكشف والبيان ١٣/ ٨٠أ ، رواية العوفي عن ابن عباس بمثل رواية مجاهد وعكرمة .

(١٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٣) الغسلين : قال ابن قتيبة : غسلين فِعْلين من غسلت كأنه الغسالة . قال بعض المفسرين هو ما يسيل من أجساد المعذبين . تأويل مشكل القرآن ٦٨ .

فمن أهل النار مَنْ طَعَامُهُ الزَّقوم ، ومنهم من طعامُه الغِسلين ، ومنهم من طعامه الضريع ، ومنهم من شرابه الحميم ، ومنهم من شرابه الصديد . وهذا قول عبدالله بن مسلم[١] ، ومعنى قول الكلبي فإنه قال : الضريع في درجة ليس (لهم)[٢] فيها غيره ، والزقوم في درجة أخرى[٣] .

فإن قيل : كيف يكون في النار نبات وشجر ، والنار تأكلها ؟ !

قال ابن قتيبة : لم يُرِد -والله أعلم- أن الضريع بعينه ينبت في النار ، ولا أنهم يأكلونه ، والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس ، وإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع ، وهلكت هزلاً ، قال الهُذَلي يذكر إبلاً وسوء مرعاها :

وحُبِسْنَ (في)[٤] هَزَمِ الضَريعِ فكُلُّهَا
حَدْبَاءُ دامية اليدين جَدودُ[٥]

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٦٨ بنصه ، وإلى مثل هذا ذهب الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٠٦ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٣٤ ، والفخر الرازي في التفسير الكبير : في ٣١/ ١٥٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٤٦٢ ، والقرطبي نقلاً عن ابن قتيبة ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٠ ، والشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ١٠/ ٣٠١ ، وهو ملحق بكتاب أضواء البيان .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣١ .

(٤) في كلا النسختين : من .

(٥) ورد البيت في شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٩٨ براوية : بادية الضُلوع جدود ، لسان العرب (ضرع) ٨/ ٢٢٤ . وورد غير منسوب في مقاييس اللغة (ضرع) ٣/ ٣٩٦ براوية : تُرِكْن في هزم ، وأيضاً في المخصص ١/ ٢٠١ ، براوية : حدباء بادية الضلوع ، كما ورد في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٩ ، برواية : قرناء دامية اليدين جرود ، روح المعاني ٣٠/ ١١٣ .
معناه الضريع يابس العشرق ، هزمه ما تكسر منه ويبس ، فإذا كان رطباً فهو الحِلة ، جدود ، وجرود ، وحرود التي لا لين لها . انظر : شرح أشعار الهذليين . المرجع السابق .

فأراد الله -تعالى- أنهم يقتاتون ما لا يشبعهم ، وضُرب الضريع لهم مثلاً ، أو يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع ، وهذا وجه[١] . وقد يكون الضريع ، وشجرة الزقوم (نبتتين)[٢] من النار ، أو من جوهر لا تأكله النار[٣] ، وكذلك سلاسل النار ، وأغلالها ، وأنكالُها ، وعقاربها ، وحيَّاتها ، ولو كانت على ما نعلم لم تبق على النار ، وإنما دلنا الله على الغائب[٤] عنده بالحاضر عندنا ، فالأسماء متفقة للدلالة ، والمعاني مختلفة ، وما في الجنة من شجرها ، وثمرها ، وفرشها ، وآلاتها جميعها على مثل ذلك[٥] . هذا كلامه .

وقال الحسن : هو بعض ما أخفى الله من العذاب[٦] .

---

(١) وبه أيضاً قال الشنقيطي في دفع إيهام الاضطراب ١٠/ ٣٠١ ، وردَّ هذا الوجه الترمذي الحكيم ، قال : وهذا نظر سقيم من أهله ، وتأويل دنيء كأنه يدل على أنهم تحيروا في قدرة الله تعالى ، وأن الذي أنبت في هذا التراب هذا الضريع قادر على أن ينبته في حريق النار ، كما جعل لنا في الدنيا من الشجر الأخضر ناراً ، فلا النار تحرق الشجر ، ولا رطوبة الماء في الشجر تطفئ النار ، فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [يس :٨] ، وكما قيل حين نزلت : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ ، قالوا يا رسول الله : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ، فلا يتحير في مثل هذا إلا ضعيف ، أو ليس أخبرنا أنه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ، وقال ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ فإنما يتلون عليهم العذاب بهذه الأشياء .
الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣١ ، ٣٢ .
وأجاب القشيري أيضاً حول دفع الاضطراب عن هذه الآية ، قال :
إن الذي يبقي الكافرين في النار ليدوم عليهم العذاب يبقي النبات وشجر الزقوم في النار ليُعَذب بها الكفار ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣١ ، ٣٢ .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) غير واضحة في (ع) .

(٤) في (أ) : (المغايب) .

(٥) نقلاً من تأويل مشكل القرآن ٦٩ ، ٧٠ بتصرف .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٢٩ .

وروى مرفوعاً : «أن الضريع شيء يكون في النار شبيه الشوك أمرُّ من الصبر ، وأنتنُ من الجيفة ، وأشدُّ حراً من النار ، سماها[١] الله ضريعاً»[٢] .

وذكر في التفسير[٣] أن المشركين قالوا :

إن إبلنا لتسمن[٤] على الضريع ، وكذبوا في ذلك ، فإن الإبل لا ترعاه على ما ذكرنا ، فقال الله (تعالى)[٥] : ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ .

ثم وصف أهل الجنة بقوله :

٨. قال تعالى :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ، قال مقاتل : في نعمة وكرامة[٦] .

---

(١) غير واضحة في (ع) .

(٢) من حديث رفعه ابن عباس إلى النبي ﷺ ، وقد رواه الديلمي في كتاب فردوس الأخبار ٣/ ١٤ : ح ٣٧١٩ ، وورد أيضاً في الكشف والبيان ج ١٣/ ٨٠أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٢ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، وعزاه إلى ابن مردوية بسند واه وفي الوسيط بإسناده عن طريق الضحاك عن ابن عباس ٤/ ٤٧٤ ، وقد ضعف د . رأفت رشاد إسناد الرواية لوجود نهشل بن سعيد البصري عن الضحاك بن مزاحم . انظر : المبسوط بين المقبوض والبسيط ، تح : رأفت ٢/ ٨١٦ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٧٥ .

(٣) وعزاه إلى المفسرين كل من صاحب : الكشف والبيان ١٣/ ٨٠ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٧٩ ، والكشاف ٤/ ٢٠٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٢ ، كما أورده الفخر في التفسير الكبير ٣١/ ١٥٤ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٢٩ ، والألوسي في روح المعاني ٣٠/ ١١٣ .

(٤) في (أ) : (تسمن) .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) الوسيط ٤/ ٤٧٥ ، وورد مثله من غير نسبة في الكشف والبيان ١٣/ ٨٠ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٢ .

٩-١١ . ﴿لِّسَعْيِهَا﴾[١] في الدنيا . ﴿رَاضِيَةٌ﴾ حين أعطيت الجنة بعملها . ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة ، قال عطاء : والدرجة مثل ما بين السماء والأرض[٢] . ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ (وقرئ (بالياء)[٣] أيضاً ، وهذا الضرب من المؤنث إذا تقدم فعله حسن التذكير فيه ؛ على أن المراد (باللاغية) اللغو ، فالتأنيث على اللفظ ، والتذكير على المعنى ، وبناء الفعل للمفعول به حسن ؛ لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه .

وقرأ حمزة والكسائي : «لا تَسمع» (بالتاء) مفتوحة ، «لاغيةً» نصباً[٤] ، وهذا على بناء الفعل للفاعل ، وهو حسن على الشياع في الخطاب ، وإن كان لواحد . وعلى هذا : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ [الإنسان :٢٠] ، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ [الواقعة :٢٥] .

ويجوز أن يصرف الخطاب إلى النبي ﷺ ، «واللاغية» مصدر بمنزلة العَاقبة والعَافية .

---

(١) ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ .

(٢) التفسير الكبير ٣١/ ١٥٥ ، وورد بمثله من غير عزو في لباب التأويل ٤/ ٣٧٢ .

(٣) قرأ بذلك أي لا يُسمع فيها لاغية ، بالياء مضمومة لاغيةٌ رفع ، ابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب . وقرأ عبيد ، وعباس ، واليزيدي ، وأبو زيد ، وعبدالوارث ، وعلي بن نصر عن أبي عمرو : ولا يُسْمَعُ بضم الياء ، وروي عن هارون ، والنضر بن شميل ، عن هارون وعبدالوهاب عن أبي عمرو بالياء ، والتاء جميعاً . انظر : كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٦٨١ ، القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٦٩ ، والحجة ٦/ ٣٩٩ ، والمبسوط ٤٠٦ ، وحجة القراءات ٧٦٠ ، وإتحاف فضلاء البشرك ٤٣٧ .

(٤) وقرأ أيضاً بذلك أبو جعفر ، وابن عامر ، وعاصم ، وخلف .
وقرأ نافع وحده : لا تُسْمَعُ بالتاء مضمومة لاغيةٌ رفع ، وخارجة عن نافع لا تَسمع بالتاء مفتوحة ، فيها لاغيةً نصب ، وعن ابن كثير : لا تُسمع بالتاء رفع . انظر : المراجع السابقة .

ويجوز أن يكون صفة كأنك قلت : لا تسمع كلمة لاغية ، والأول الوجه لقوله : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [الإنسان :١٩] ، وهو قول أبي عبيدة قال : «لاغية»[١] لغو(اً)[٢][٣][٤] .

قال ابن عباس : يريد كذباً ، ولا بهتاناً[٥] ، ولا كفراً بالله[٦] . وقال قتادة : باطلاً[٧] . وقال مجاهد : شتماً[٨] .

وقال مقاتل : لا يسمع بعضهم من بعض الحلف عند الشراب ، كما يحلف أهل الدنيا إذا شربوا الخمر[٩] .

وقال أبو إسحاق : لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة ، وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم[١٠] .

---

(١) بياض في (ع) .

(٢) ساقط من كلا النسختين والمثبت مثل ما جاء في المجاز ، وكذا الحجة .

(٣) ورد قوله في مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦ ، وكلامه : لا تسمع فيها لغواً .

(٤) ما بين القوسين نقله من الحجة ٦/ ٣٩٩ ، ٤٠٠ بتصرف .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) ورد قوله مختصراً في النكت والعيون ٦/ ٢٦٠ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٣ .

(٧) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٦٨ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٦٣ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩٣ ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٨) تفسير الإمام مجاهد ٧٢٤ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٦٣ ، والنكت والعيون ٢٠/ ٣٣ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩٣ ، وعزاه إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، فتح القدير ٥/ ٤٣٠ .

(٩) التفسير الكبير ٣١/ ١٥٦ .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٨ وفيه : بنعيمه بدلاً من النعيم ، وحسّن القرطبي هذا لعمومه . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٣ ، وقال الشوكاني : وهذا أرجح الأقوال ؛ لأن النكرة في سياق النفي من صيغ العموم ، ولا وجه للتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص ، إلا بمخصص يصلح للتخصيص . فتح القدير ٥/ ٤٣٠ .

واللغو على ثلاثة أوجه : =

١٢. (قوله تعالى)[١] : ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ قال الكلبي : لا أدري بماء أو بغيره[٢] .

١٣. ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ قال ابن عباس : ألواح من ذهب ، مكللة بالزبرجد ، والدُّرِّ[٣] ، والياقوت مرتفعة في السماء ، ما لم يجئ أهلها ، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ، ثم ترتفع إلى موضعها[٤] .

= أحدها : اللغو ؛ اليمين الكاذبة ، والثاني : اللغو ؛ الباطل ، والثالث : يعني الحلف عند شرب الخمر في الجنة كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمر .
وهذه المعاني تناولها المفسرون في معنى الآية .
انظر : قاموس القرآن (لغو) للحسين الدامغاني ٤١٨ ، وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر (لغو) لابن العماد ٢٢٨ رقم ٧٨ ، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم (لغو) ٥٧٣ رقم ١٢٨ ، د .سليمان القرعاوي .

(١) ساقط من (ع) .

(٢) التفسير الكبير ٣١/ ١٥٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٣٠ .

(٣) الدُّر : جمع مفرده : الدُّرة وهو اللؤلؤ . انظر : مختار الصحاح (درّ) ٢٦٨ .

(٤) معالم التنزيل ٤/ ٤٧٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٥ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٥٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٢ .

١٥. ﴿وَنَمَارِقُ﴾[١] يعني الوسائد في قول الجميع[٢]، واحدها نُمْرُقة بضم النون، وزاد الفرَّاء سماعاً من العرب نِمْرقة بكسر النون[٣]، وأنشد أبو عبيدة[٤] (لمحمد بن نمير الثقفي[٥])[٦]:

إذا ما بِساط اللَّهْو مُدَّ وقُرِّبَتْ للذَّاتِه أنْماطُهُ ونمارِقُهْ[٧]

---

(١) بياض في (ع).

(٢) حكى الإجماع أيضاً الفخر الرازي في التفسير الكبير ٣١/ ١٥٦، وعزاه ابن كثير إلى ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والسدي، والثوري، وغيرهم في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٧، ولم يذكر الطبري قولاً مخالفاً لهذا القول، غير أنه عدد معاني الآية من القول: إن النمارق هي: المجالس، والوسائد، والمرافق، وعزا ذلك إلى ابن عباس وقتادة، انظر: جامع البيان ٣٠/ ١٦٤، وقد ذهب أيضاً إلى القول إنها الوسائد أصحاب الكتب الآتية: بحر العلوم ٣/ ٤٧٣، والكشف والبيان ج ١٣/ ٨٠ب، معالم التنزيل ٤/ ٢٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٤، والكشاف ٤/ ٢٠٣، وزاد المسير ٨/ ٢٣٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٤، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٢، والبحر المحيط ٨/ ٤٦٣، وفتح القدير ٥/ ٤٣٠.

وبه قال أيضاً أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦، وأبو عبيد في غريب القرآن ١٤٣، بحاشية كتاب التيسير، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٥، والسجستاني في نزهة القلوب ٤٥٥، ومكي في العمدة في غريب القرآن ٣٤٥.

وبه قال ابن منظور في لسان العرب (نمرق) ١٠/ ٣٦١.

وقال د. الخضيري في الإجماع في التفسير ٥٢٥، ما ذكره الواحدي من الإجماع صحيح لا خلاف فيه.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٥٨، وعنده بكسر النون، والراء رواه عن بعض قبيلة كلب.

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد أنشد صاحب اللسان لأبي عبيد قول محمد بن عبدالله بن نمير الثقفي (نمرق) ١٠/ ٣٦.

(٥) محمد بن عبدالله نمير الثقفي النميري، يرد اسمه محمد بن نمير، شاعر غزل، من شعراء العصر الأموي، مولده ومنشؤه ووفاته في الطائف، كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجاج، وتهدده الحجاج، ثم عفا عنه ألا يعود إلى ما كان عليه. انظر: الأغاني ٦/ ٢٠١ ط. دار الكتب العلمية، الأعلام للزركلي ٦/ ٢٢٠.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) ورد البيت في لسان العرب (نمرق) ١٠/ ٣٦١، والكامل ٣/ ١٣٧٠ ونسبه إلى النُصَيْب، وأنشده أبو الفرج في الأغاني ١٠/ ١٤٠.

وأنشد للمبرِّد[١] :

وإنا لتَجْري الكَأْسُ عن شُرُوبِنَا

وبين أبي قابوس فوقَ النَمارِقِ[٢][٣][٤]

قال الكلبي : وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض[٥][٦] ، وقال[٧] : يعني الوسائد

﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ على الطنافس[٨] .

---

(١) في (ع) : المبرَّد .

(٢) بياض في (ع) .

(٣) البيت للفرزدق انظر : ديوانه ٢/ ٥٤ برواية : الخمر بدلاً من : الكأس ، وسراتنا بدلاً من : شروبنا ، كما ورد في الكامل ٣/ ١٣٦٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٤ براوية : لنجري ، فتح القدير ٥/ ٤٣٠ بمثل رواية القرطبي .

(٤) ورد قول المبرَّد في الكامل ٣/ ٣٦٩ .

(٥) إلى بعض : بياض في (ع)

(٦) التفسير الكبير ٣١/ ١٥٦ .

(٧) أي المبَّرد ، أظن ذلك ، وكلامه كما جاء في الكامل المرجع السابق : والنَّمارق واحدتها نُمْرُقة وهي الوسائد ، ثم أنشد قول الفرزدق .

(٨) وهي الطُنْفُسة ، وهي البساط الذي له خَمْلٌ رَقيق وجمعه طنافس .
النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٤٠ ، ولسان العرب (طنفس) ٦/ ١٢٧ .

١٦. (قوله تعالى)[١] : ﴿وَزَرَابِيُّ﴾[٢] يعني البسط ، والطنافس واحدها (زربية) ، وزربي[٣] ، في قول جميع أهل اللغة[٤] والتفسير[٥] .

(قوله تعالى)[٦] : ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مبسوطة منشورة[٧] . قال مقاتل : فكذب كفار مكة ، ثم ذكرهم في هذه السورة فدل على صنعه ؛ ليعتبروا فلا يكذبوا بما في القرآن[٨] بقوله .

---

(١) ساقط من (ع) .

(٢) ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ .

(٣) بياض في (ع) .

(٤) قال به الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٨ ، والفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ٢٥٨ ، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦ ، وبه قال الرازي في مختار الصحاح ٢٧٠ ، وابن منظور في لسان العرب (زرب) ١/ ٤٤٧ .
وقال الجوهري : الزرابي . النمارق . انظر : الصحاح (زرب) ١/ ١٤٣ .
وردَّه الرازي بقوله : النمارق : الوسائد ، وهي مذكورة قبل آية الزرابي ، فكيف يكون الزرابي النمارق ، وإنما هي الطنافس المحملة والبسط . مختار الصحاح ٢٧٠ ، وحكاه الفخر عن أهل اللغة في التفسير الكبير ٣١/ ١٥٦ .

(٥) زرابي قال بذلك ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والحسن ، وغير واحد ، كما قال ابن كثير انظر : جامع البيان ٣٠/ ١٦٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٣٧ ، والدر المنثور ٨/ ٤٩٣ ، وقد قال أيضاً بهذا القول الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٦٤ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٧٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٨٠أ .
كما قال بذلك أصحاب غريب التفسير : كابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٥ ، وأبي عبيد في غريب القرآن ١٤٣ ، والسجستاني في نزهة القلوب ٢٥٨ ، ومكي بن أبي طالب في العمدة في غريب القرآن ٣٤٥ ، وانظر : نفس الصباح ٢/ ٧٧٩ ، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ٥٥٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٧٩ ، والكشاف ٤/ ٢٠٧ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٣ .

(٦) ساقط من (ع) .

(٧) وهو قول قتادة في جامع البيان ٣٠/ ١٦٥ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٦١ .

(٨) تفسير مقاتل ٢٣٨ب بمعناه ، وقد عُزي هذا القول إلى المفسرين ، قال بذلك الثعلبي في الكشف والبيان ج١٣/ ٨١أ ، والبغوي في معالم التنزيل ٤/ ٤٧٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٣٥ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٤ ، والخازن في لباب التأويل ٤/ ٣٧٣ ، والرواية عن =

١٧. (قوله تعالى)[١] : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ .

قال مقاتل : إنما ذكر الإبل بمكة كثير ، وليس بها فيلة ، فذكر لهم ما يرون صباحاً ومساءً[٢] .

وقال قتادة : ذكر الله -تعالى- ارتفاع سور الجنة وفرشها ، فقالوا : كيف نصعدها ؟ فأنزل الله هذه الآية[٣] .

قال أبو عمرو بن العلاء : لأنه من ذوات الأربع يبرك فيحمل عليه الحمولة ، وغيره من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم[٤] .

وقال أبو إسحاق : نبههم على عظيم من خلقه قد ذلَّله[٥] للصغير يقوده ، وينيخه ، وينهضه ، ويحمل عليه الثقيل من الحمل ، وهو بارك فينهض بثقل حمله ،

= المفسرين في المراجع السابقة .

قال الثعلبي : قال المفسرون : لما نعت الله -تعالى- ما في الجنة في هذه السورة عجب من ذلك أهل الكفر والضلالة ، وكذبوا بها فذكرهم الله -تعالى- صنعه ، فقال : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ .

(١) ساقط من (ع) .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٢٣٨ب .

(٣) ورد معنى قوله في الكشف والبيان ج١٣ : ٨١أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٠ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٥ .

كما وردت رواية قتادة في لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٢٢٨ ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٥ ، وقد ورد بمثله من غير نسبة في زاد المسير ٨/ ٢٣٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٣ .

(٥) في (أ) : (قدر الله) .

وليس ذلك في شيء من الحوامل غيره ، فأراهم[١] عظيماً من خلقه ، ليدل بذلك على توحيده[٢] .

١٨. ثم قال : ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ يعني من الأرض لا ينالها شيء بغير عمد ، (قاله الكلبي[٣] ، ومقاتل[٤])[٥] .

١٩. (قوله)[٦] : ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ . (على الأرض مُرسَاة مثبتة لا تزول)[٧] .

٢٠. (قوله)[٨] : ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ؛ أي بسطت[٩] ، والسطح بسط الشيء ، ويقال لظهر البيت إذا كان مستوياً : سطح ، وفعله[١٠] : التسطيح[١١] .

---

(١) في (أ) : (فأرارهم) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٨ بيسير من التصرف .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) تفسير مقاتل ٢٣٨ب .

قال كيف رفعت فوقهم خمسمائة عام ، وقد ورد بمثله من غير عزو في معالم التنزيل ٤/ ٤٨٠ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٦ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٣ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) ما بين القوسين من قول الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٨ .

(٨) ساقط من (أ) .

(٩) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٥ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٩ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٧٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٨أ .

(١٠) فعلله في (ع) .

(١١) سطح ، انظر : لسان العرب (سطح) ٢/ ٢٨٤ .

قال أبو عبيدة : (يقال)[١] جبل مُسَطَّح[٢] إذا كان في أعلاه استواء[٣] .

قال (عطاء عن)[٤] ابن عباس : يقول هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل ، أو يرفع مثل السماء ، أو ينصب مثل الجبال ، أو يسطح مثل الأرض غيري ؟ ! وهل يفعل مثل هذا الفعل أحد سواي[٥] ؟ !

قال مقاتل : فلم يعتبروا بما رأوا من صنعه وعجائبه[٦] .

٢١. فقال : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ قال ابن عباس : فعظ إنما أنت واعظ[٧][٨] ، ولم يؤمر إذ ذاك إلا بالتذكرة ، ويدل عليه قوله :

٢٢. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ؛ أي بمسلط فتقتلهم ، وتكرههم على الإيمان ، ثم نسختها آية القتال .

---

(١) ساقط من (أ) .

(٢) قوله : جبل مسطح : بياض في (ع) .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦ .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) معالم التنزيل ٤/ ٤٨٠ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٣ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله ، والذي ورد عنه في تفسيره ٢٣٨ب ، ثم ذكر عجائبه ، فقال : أفلا ينظرون إلى الإبل . الآية .

(٧) بياض في (ع) .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد بمثل قوله من غير عزو في النكت والعيون ٦/ ٢٦٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٣ .

(هذا قول جميع المفسرين)[١][٢] ، والكلام في تفسير هذا الحرف قد تقدم عند قوله : ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور :٣٧][٣] ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ﴾ [ق :٤٥] الآية .

٢٣-٢٤. ثم استثنى ، فقال : ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ ذكر الفرَّاء في الاستثناء الوجهين ؛ أحدهما : أن يكون مستثنى من الكلام الذي [كان][٤]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) عزاه الفخر إلى جميع المفسرين في التفسير الكبير ٣١/ ١٦٠ ، وقال بالنسخ أيضاً ابن زيد في الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر ٢٩٦ ، وهبة الله بن سلام في الناسخ والمنسوخ ١٩٧ ، وابن البارزي في ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ٥٨ .
وممن قال بنسخها الزَّجَّاج في معاني القرآن ٥/ ٣١٩ ، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٧٤ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٨١ب .
وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/ ٤٨٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٧ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٣ ، وفتح القدير ٥/ ٤٣١ .
وقال ابن الجوزي في قوله : ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ قيل : نسخت بآية السيف ، وقيل : معناها لست عليهم بمسلط فتكرههم على الإيمان ، فعلى هذا لا نسخ .
انظر : المصفى بأكف أهل الرسوخ ٥٩ ، ونواسخ القرآن ٢٥٢ ، وكلاهما لابن الجوزي .
قلت : الآية ليس فيها ما يدل على التعارض المؤدي إلى نسخها ، وحديث جابر بن عبدالله فيه دلالة على أن الآية ليست منسوخة ، والحديث عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» ، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٢٤ : ح ٣٥ كتاب الإيمان : باب ٨ ، والنسائي في سننه ٣/ ٥١٩ ، ٥٢٠ : ح ٦٩٠ ، والترمذي في سننه ٥/ ٤٤١ : ح ٣٣٤١ : كتاب تفسير القرآن : باب ٧٨ ، قال عنه حديث حسن صحيح .

(٣) وقد ورد في تفسيرها قوله : أهم المسيطرون أي الأرباب المسلطون ؛ ومصدره من التسطير ، وقد قال المفسرون في تفسير هذا الحرف : المسلطون الجبارون ، الأرباب القاهرون ، كل هذا من ألفاظهم .
والمعنى : أم هم الأرباب ، فلا يكونوا تحت أمر ونهي يفعلون ما شاؤوا .

(٤) هو : في كلا النسختين ، ولا يستقيم الكلام بها ، وأثبت ما جاء في المعاني .

التذكير يقع عليه ، وإن لم يُذَكر كما تقول : اذهب ، وعظ ، وذكّر إلا من لا (تطمع)[١] فيه ، وعلى هذا معنى الكلام فذكر ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ ﴾ .

الوجه الثاني : أن يكون منقطعاً عما قبله ، كما تقول في الكلام : قعدنا نتذاكر الخير ؛ إلا أن كثيراً من الناس لا يرغب ، فهذا المنقطع .

وقال : وتعرف المنقطع من الاستثناء بحُسْن (إن) في المستثنى (فإذا كان الاستثناء)[٢] محضاً متصلاً لم يحسن فيه (إن) ، ألا ترى أنك تقول : عندي مائتان إلا درهماً ، فلا تدخل[٣] (إن) ، وهَاهنا يحسن (إن) بأن يقول : ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ﴾[٤] .

وذكر بعض النحويين[٥] أن هذا الاستثناء يجوز أن يكون عن الضمير في (عليهم) على تقدير : لست عليهم بمسيطر إلا على من تولى (وكفر)[٦] . وهذا ليس بالسهل ؛ لأن النبي ﷺ ما كان حينئذ مأموراً بالقتال ، ولا مسلطاً على أحد .

والمعنى : إلا من أعرض عن الإيمان ، وجحد ربوبيتي . قاله مقاتل[٧] ، وعطاء[٨] . ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ قال الكلبي : يدخله النار[٩] .

---

(١) تطعم : في كلا النسختين ، وهو ظاهر الخطأ ، وأثبت ما جاء في المعاني لاستقامة المعنى به .

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسختين ، وأثبت ما جاء في المعاني .

(٣) في (أ) : إلا ، وهو حرف زائد في السياق .

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٥٩ بتصرف .

(٥) قال ذلك النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢١٥ ، وانظر أيضاً : البيان في إعراب القرآن لابن الأنباري ٢/ ٥١٠ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٨٤ ، والدر المصون ٦/ ٥١٤ .

(٦) ساقط من (ع) .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله ، وورد بمثله من غير نسبة في زاد المسير : حاشية ٨/ ٢٣٦ .

وقال مقاتل : لا عذاب أعظم من النار ، وهو أكبر من الجوع الذي أصابهم ، والقتل ببدر[١] .

٢٥. ثم ذكر أن مرجعهم إليه ، فقال : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ ؛ أي رجوعهم ومصيرهم بعد الموت ، آب ، يؤوب ، إياباً ، وأوْباً[٢] ، قال[٣] :

فرجِّي الخيرَ وانتظري إيابي إذا مالقارظ العَنزي آبَا[٤]

وأما (إيابهم) بتشديد (الياء) ، فإنه شاذ[٥] ، ولم أر أحداً أجازه غير الزَّجَّاج ، فإنه قال : (يقال)[٦] أيّب إيّاباً على فَيْعَل فِيْعالاً ، والأصل إيواباً فأدغمت (الياء) في (الواو) ، وانقلبت (الواو) إلى (الياء) ؛ لأنها سبقت بسكون[٧] هذا كلامه .

٢٦. وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ قال عطاء : يريد جزاؤهم[٨] .

وقال مقاتل : يعني جزاءهم بعد المرجع على الله[٩] كقوله : ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء :١١٣] . بمعنى جزاءهم .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وورد بمثله من غير عزو في الكشف والبيان ١٣/ ٨٢أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢٣٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٧٤ ،

(٢) راجع ذلك في تهذيب اللغة (آب) ١٥/ ٦٠٧ ، ولسان العرب (أوب) ١/ ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٣) بشر بن أبي خازم يخاطب ابنته عميرة وهو يجود بنفسه لما أصابه سهم من غلام وائلة .

(٤) انظر : (قرظ) في تهذيب اللغة ٩/ ٦٧ ، والصحاح ٣/ ١١٧٧ ، ولسان العرب ٧/ ٤٥٥ ، وتاج العروس ٥/ ٢٥٩ .

(٥) قرأ بذلك أبو جعفر يزيد ، انظر : المحتسب لابن جني ٢/ ٣٥٧ ، ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ١٧٢ ، والنشر ٢/ ٤٠٠ ، والإتحاف ٤٣٨ ، والتحبير ١٩٩ ، وقرأ الباقون بتخفيفها . النشر ٢/ ٤٠٠ ، والإتحاف ٤٣٨ ، والتحبير ١٩٩ .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) معاني القرآن ٥/ ٣١٩ بنحوه .

(٨) تفسير مقاتل ٢٣٨ب .

(٩) زاد المسير ٨/ ٢٣٦ مختصر جداً .